السيرورة القرائية وتمفصلات القراءة الرقمية: القراءة من الخطية إلى التشعبية

The reading process and articulations of digital reading: reading from linear to hypertext

يحي عماد*

جامعة محمد خيضر بسكرة

مخبر: وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة

imad.yahia@univ-biskra.dz

عبد الرزاق بن دحمان

جامعة محمد خيضر بسكرة

مخبر: وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها

Abderrazak.bendahmane@uiv-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2023/01/02 تاريخ القبول: 2023/05/01 النشر :2023/05/31

ملخص:

يتسيّد مفهوم القراءة الرقمية جملة المفاهيم التي أفرزها انتقال الأدب من البيئة الورقية إلى البيئة الرقمية، بوصفها مفهوما جديدا انتقل بالقارئ من فعل القراءة الكلاسيكية المرتبطة باللغة المكتوبة إلى عالم القراءة الحاسوبية المرتبطة بالعرض البصري فقد أصبح النص الأدبي الذي يعرض على الشاشة يبصر أولا باعتباره صورة قبل أن يقرأ بوصفه نصا، وهذا ما أدى إلى تعطيل عُرف القراءة الورقية، وتحويل النزوع القرائي نحو مزايا الهندسة النصية الرقمية، التي تعتمد أساسا على مبدأ التفاعل مع المستظهرات البصرية للوسيط الحاسوبي.

تطرح الدراسة جملة من التساؤلات نذكر منها: ما هي شروط هذه القراءة الجديدة وما أبرز خصوصياتها ومبادئها؟ وأي دور للقارئ في تشكيل حدود هذه القراءة وأبعادها ؟ واستنادا إلى ذلك يصل البحث إلى أن التحول في فعل القراءة في البيئة الرقمية تجاوز التحول المحدود على مستوى اللغة إلى تحول أوسع وأشمل مسّ مفهوم القراءة ذاتها ،وكذا مجموعة من المفاهيم الأخرى من قبيل مفهوم القارئ ومفهوم التّلقي.

الكلمات المفتاحية: قراءة؛ تلقي؛ سيرورة قرائية؛ تفاعلية؛ وسائط تشعبية.

Abstract :

The concept of digital reading dominates a number of concepts produced by the transformation of literature from paper to digital environment, as a new concept that moved the reader from the act of classical reading associated with the written language to the world of computer reading associated with visual display. The interactive text that is displayed on the screen is seen first as an image before being read as text, and this is what led to the abolition of the customs of paper reading, and the transformation of reading tendency towards the advantages of digital text engineering, which depends mainly on the principle of interaction with the visual memorizers of the computer medium.

The study addressed a number of questions, including: What are the conditions for this new reading and what are its most prominent characteristics and principles? What is the role of the reader in shaping the limits and dimensions of this reading? Accordingly, the research concludes that the transformation in the act of reading in the digital environment exceeded the limited transformation at the language level to a broader and more

comprehensive transformation that affected many concepts as reading, as well the concept of the reader and the concept of receiving

KeyWords: reading; Receive; reading process; interactive; hypermedia.

*المؤلف المرسل : يحي عماد

المقدمة:

لما كانت القراءة هي الفعل الواصف لعملية التلقي وهي المدار الذي تشتغل عليه العملية الإبداعية بكل أطرافها، فقد انتقلت القراءة الرقمية – إن صح تسميتها كذلك– بالقارئ " من فعل القراءة الكلاسيكية المرتبطة باللغة المكتوبة إلى عالم القراءة الحاسوبية المرتبطة بالعرض البصري، وبالتالي فالنص الأدبي الذي يعرض على الشاشة يبصر أولا باعتباره صورة قبل أن يقرأ بوصفه نصا"(بوتز، 2016، صفحة 69) وبهذا المنظور أصبح النص الرقمي بنية متكاملة تسهم في تكوينها أدوات ووسائط متنوعة تدخل فيها اللغة والصوت والصورة واللون والضوء والحركة؛ فكثير من النصوص الرقمية تلجأ في بنائها الجمالي إلى عناصر سينمائية مختلفة مثل الموسيقى واللوحة والإلقاء الصوتي إلى جانب العلامات اللغوية، هذه الأخيرة لم تعد حركتها تنمو في شكل خطي تسلسلي ولكنها أصبحت متحركة تنمو بصورة تشعبيه في اتجاهات مختلفة، ومن هنا فإن هذه العناصر التي أصبحت تدخل في صميم تكوين النص الرقمي لم تعد مجرد مصاحبات نصية ينحصر دورها في إضاءة النص، ولكنها أصبحت أدوات مهمة في توجيه القراءة وتتبع مسار الدلالة لبناء المعنى وبالتالي فقد أسهمت بشكل كبير في إعادة بلورة مفهوم التلقي بما يستجيب لمتطلبات هذا التحول الرقمي الذي تمخض عنه هذا النص الجديد، وهو ما يعني أيضا أن طبيعة الوسيط الحامل لهذه المصاحبات النصية وطريقة عرضها، هما اللتان تحددان الصيغة الملائمة لتلقي هذا النص الجديد والتعامل معه ومن ثم قراءته.

فكيف يضع النص الرقمي شروط تلقيه؟ وكيف يؤسس شكل قراءته؟ وأي دور للقارئ في بناء الدلالة في ضوء هذه الشروط الجديدة؟ هذه الأسئلة وغيرها هي ما سعى البحث للإجابة عنها، من خلال تقصي جوانب هذا الموضوع في ضوء منهج وصفي تحليلي، وفي ضوء هذا التصور سنحاول التركيز على أهمية مفهوم الرّابط ومفهوم التفاعلية في إضفاء جماليات قرائية على النص الرقمي بشكل يستجيب للمتطلبات الفنية الجديدة التي أسهمت في تشكيل هذا النص، وفق خطط وتمفصلات جديدة أيضا لسيرورات قراءة هذا النص وتلقيه.

I. النص من الخطية إلى الارتباط والتشعبية:

إن التحول نحو الوسيط الجديد(الحاسوب) بما يتيحه من إمكانات، مهد لظهور مصطلح hypertexte الذي يشير إلى النص المترابط، وهو مصطلح صاغه تيدور نيلسون Theodor Nellson سنة 1965م، في إشارة إلى ذلك النص الرقمي المتطور الذي" نشأ بالترافق مع الإنجازات المتتالية والمستمرة في تقنيات الحاسوب وبرمجياته وشبكات اتصاله، إلا أنه يشير أيضا إلى التقاء هذا التطور التقني الرقمي مع التقدم المعرفي الحاصل في

دراسة بنية النص ومفاهيمه وطرق تلقيه من خلال المنهجيات الحديثة في البحث وعلى رأسها البنيوية والألسنية والسيميولوجيا"(عرفة، 2007، صفحة 338)، وفتح المجال أيضا لظهور مصطلح جديد هو hypermedia (الخطيب، 1996، صفحة 83)، والذي يعربه حسام الخطيب بأنه النص المرفل، للدلالة على اغتناءه بعناصره السمعية–البصرية ولما يتضمن النص عندئذ من حركة وزينة فضفاضة.

ويمكن اعتبار النص المترابط كمفهوم وآفاق، مظهرا من مظاهر التحول من الورقية إلى الرقمية، وهو حلقة وسطى وهامة ضمن سلسلة التحولات التي طرأت على العملية الإبداعية الأدبية بفعل استثمارها لإمكانات الوسيط الجديد(الحاسوب)، فهذا النص أصبح يتحدد بمجموعة من النصوص والبنى المعلوماتية المتداخلة "المسجلة رقميا بتقنيات الحوسبة، والتي تستخدم لعرضها على شاشة الحاسوب تمثيلات بعلامات مختلفة، وبتنوعاتها السمعية–البصرية ومصطلحات تشكل مفاتيح أو وصلات لموضوعات متناثرة فيها، تحيل إلى مسارات شبكية مترابطة وغير تعاقبية متعددة ينشطها القارئ (أو المتلقي) حاسوبيا حسب المواضيع التي يعمل عليها وحسب احتياجاته المعلوماتية فيها."(عرفة، 2007، صفحة 338،339)

والملاحظ أن الشكل التقليدي للنص الأدبي، والذي يتراوح بين الخطية والورقية، ظل شاملا لكل الخصائص والمفاهيم الجزئية التي منحته سمة أسلوبية مميزة وخاصة، من منطلق أن مؤلفه يكتبه وفق ترتيب ثابت ونظام معين، محددا إياه ببداية ووسط ونهاية، وبشكل لا يمكن للقارئ التدخل لتعديل هذا الترتيب أو خلخلة هذا النظام، بل يفرض عليه في المقابل أن يتتبع مسارا موجّها في القراءة،إذ عليه أن يبدأ النص من بدايته وينتهي في نهايته اللتان رسومهما مؤلف النص له.

لكن مع انتقال هذا النص إلى البيئة الرقمية اكتسب في المقابل أيضا سمات أسلوبية جديدة، ربما تتقاطع مع سمات النص التقليدي، لكنها في المقابل تمنح الخصوصية لهذا للنص الجديد، نتيجة لما يمنحه من إمكانات ربط هائلة" تتنافى مع الكتابة الخطية والتفكير التّتابعي حيث يبدأ المرء من البداية إلى النهاية، فالنص المتعالق يمنح القدرة على القفز فوق النص وخارجه وحوله، والترحال بين أفكار وقضايا لها ارتباطها (بموضوع ما)، ومع أن مثل هذا الترحال ممكن على الورق (كما في حالة الإحالة والهوامش أو الإرشاد إلى كتاب آخر)، إلا أن سهولتها في برامج الحاسب الآلي للنص المتعالق لا تضاهى"(الرويلي، 2002، صفحة 270)، كما أن دخول إمكانات الربط هذه بوصفها عنصرا أساسيا لإنجاز النص، تجعله خاضعا لوضع يتحول فيه من النسق اللغوي إلى نسق سميوطيقي تتضافر فيه العلامات الغوية وغير لغوية في شكل وسائط متعددة تمكننا من إنتاج المعنى وبناء الدلالة.

هذه الوسائط المتعددة أيضا، أسهمت بشكل كبير في انتقال الأدب في شكله التقليدي من خاصية البحث في علاقة النص بالنصوص اللغوية الأخرى في المستويين السطحي والعميق إلى البحث في علاقة النص مع مختلف الوسائط الإلكترونية الأخرى على غرار الأشكال والخطوط والأصوات والصور والرسومات والفيديوهات وما إلى ذلك، هذه الوسائط المتعددة بالإضافة إلى الوسيط اللغوي هي ما أصبح يميز النص الأدبي في البيئة الرقمية، فهو

يستعمل ويستغل كل الإمكانيات والبرامج التي يوفرها الحاسوب وشبكة الإنترنيت لإعادة تشكيل بناه من جهة ومسايرة التطور المستمر الذي تخضع له هذه الوسائط من جهة أخرى.

وترصد كاثلين بيرنت في مقال لها عام 1993م، أهم المبادئ التي تحكم النص الرقمي عند تخطيطه، وتحدد أهم الخصائص والمبادئ التي يقوم عليها هذا النص بفعل تحوله من الخطية إلى التشعبية ، وهذه المبادئ حسب تقديرها هي (ديرميتزاكيس، 2003):

- الاتصال وتغير خصائص الاتصال: وهما مبدآن يشيران إلى أن كل نقطة فيه قابلة للاتصال بغيرها بدون الخضوع لهيمنة مركز ما، حيث يكون للمتفاعل مع النص القدرة على تغيير أنماط ذلك الاتصال.
- التعددية: وتعني القدرة على دعم التفكير التراتبي والقفزات المعرفية كذلك، بحيث يمكن أن تتعدد أساليب التفاعل مع بناء مفرد أو تنوع الأبنية نفسها، وهذا المبدأ مرتبط أيضا بتنوع المتفاعلين مع النص وعدم إمكان توقع استجاباتهم.
- خلق علاقات احتمالية: فالنص التشعبي يدعم نمطين سائدين في البناء التراتبي هما المسارات المخططة مسبقا والمسارات المتوقع أن يخلقها المستخدم، لكن النص التشعبي لا يقف أمام أي اختيار حر غير متوقع، فهناك دائما علاقات ينتظر في وقت ما أن يماط عنها اللثام.
- مبدأ مرونة الإطار المكاني: وهو ما يعني أن أي مسار يتبعه المتفاعل هو مسار لا يفضل غيره ولا يفضله سواه، وللمتفاعل الحق في أن يخلق أي مسار شاء أو أن يتبع خطى شخص سبقه، فليس هناك سياق محدد بل سياقات تتعدد بحسب المتفاعلين مع النص، وهو في ذلك يشبه الإبحار في الفضاء.

والجدول التالي أيضا يحدد بمزيد من الدقة مختلف التحولات التي طرأت على النص بفعل انتقاله من البيئة الورقية إلى البيئة الرقمية، وذلك من خلال عقد مقارنة بين خصائص النص الرقمي من جهة ونظيرتها في النص الورقي من جهة أخرى:

النص الورقي	النص الرقمي
يتميز بالجمود والثبات كما أنه مقيد بسلطة السطر	مرن وديناميكي وحركي متحرر من سلطة السطر
أحادي الوسيط: قوامه الكلمة فقط وهي أحسن الأحوال يستعين بالصورة.	متعدد الوسائط: قوامه العلامات والدوال السمعية والبصرية والروابط التقنية.
أحادي البعد	شاسع الأبعاد ويتسم بالعمق
خطي: يقرأ باتجاه واحد ومحدد من أعلى إلى أسفل	تشعبي ولا خطي : يقرأ باتجاهات متفرعة ومتشابكة
يحفز حاسة البصر	يحفز عدة حواس: السمع والبصر واللمس
تفاعل القارئ مع النص يقتصر على التفاعل الذهني	تفاعل القارئ مع النص "يخلق أشكالا جديدة: البناء، التعليق، الإرجاء، الاستكشاف ...
يلتزم الجنس الأدبي والحدود الفاصلة بين الفنون.	يلغي الحدود الفاصلة بين الفنون ويعمل على إذابتها وتداخلها
التأليف هو الملك الوحيد للنص ووحده يملك سلطة التأليف والإنتاج	يشارك إلى جانب الكاتب كوكبة من الخبراء في إنتاج و تأليف النص
تقتصر قيمه الجمالية على اللغة والمصنوعون تتشكل أبرز التصميم الإلكتروني واللغة المعلوماتية	تتعدى قيمه الجمالية اللغة والمصنوعون تتشكل أبرز التصميم الإلكتروني واللغة المعلوماتية
يمكن تحويله إلى نص رقمي في أي وقت دون أن يفقد من خصائصه	لا يمكن طباعته على الورق بأي شكل من الأشكال دون أن يفقد من خصائصه
يتجسد كليًا دفعة واحدة أمام القارئ	يتجسد على دفعات، من خلال النقر على الروابط ولا يمكن رؤيته كاملا

من خلال الجدول يمكن أيضا إجمال خصائص الكتابة الأدبية الرقمية، والتي نتجت عن تحول النص إلى البيئة الرقمية، والحقيقة أن البحث في مختلف هذه الخصائص الجديدة يحيلنا في المقابل إلى مجموعة من التحولات في المفاهيم والتصورات الأساسية المؤسسة لهذا النص، وكذا جملة المصطلحات التي تؤطر هذه المفاهيم، والتي في ضوئها يتحدد مفهوم النص الرقمي، وبالتالي تتحد أيضا مختلف التحولات التي حدثت للنص الأدبي في إطار انتقاله إلى البيئة الرقمية، من جهة تحول بنيته الخاصة، أو من جهة تلقيه أو علاقته بباقي أطراف المنظومة الإبداعية (الوسيط–المتلقي–المنتج).

II. المتلقي الرقمي من الفاعلية إلى التفاعلية:

1. المتلقي الرقمي من القراءة إلى التأليف:

فرضت البيئة الرقمية والوسيط التكنولوجي(الحاسوب) بتعدد إمكاناته، العديد من السبل لصياغة الأفكار ما أوجد مؤلفا مختلفا استطاع إبداع نصوص تتماشى ووضعيته الجديدة، نصوص تجمع بين الكلمة وعناصر أخرى لم تكن لتتمظهر بهذه الفاعلية لولا هذا الوسيط، وهذا ما أوجد في المقابل متلقيا مختلفا، قادرا على المشاركة في الإبداع، واستطاع بدوره من خلال استثمار هذا المعطى الجديد أن يتجاوز التلقي في شكله التقليدي المحصور في فعل القراءة والبحث عن المعنى، إلى التلقي في شكله الجديد أيضا والذي يجمع فيه التلقي بين فعلي القراءة والكتابة معا.

من هنا فإن صور تفاعل القارئ مع النص في الأدب الرقمي تتعدد " بسبب تعدد الصور التي يقدم بها النص الأدبي نفسه إلى المتلقي/ المستخدم"(البريكي، 2006، صفحة 53)، وتحديدا النص الذي يعتمد على تقنية التشعب ففي تخليه عن الخطية يبدأ في كثير من الأحيان من نقاط ومداخل متعددة ، ويخلق مسارات متعددة أيضا، بل قد يكون مفتوحا بلا نهاية، وهذا ما يمنح المتلقي " فرصة الانتقال في فضاء النص بطريقة حرة لا تراعي تسلسل أجزائه ومقاطعه، الشيء الذي يجعل النص أمام احتمالات الانغمار المتعدد أو القراءات المتعددة: أي أن يخلق له مساراته الخاصة، ومن ثمة نصه الخاص"(يقطين، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية: نحو كتابة عربية رقمية، 2008، صفحة 34)، ومن هذا المنظور أيضا فإنه كلما زادت الروابط والتشعبات كلما زاد عدد الاحتمالات لتوليد نصوص جديدة ، وهو ما يؤدي إلى تشتيت المتلقي بشكل يصعب عليه إعادة قراءة النص حتى وإن اختار أن يبدأ من نقطة معينة ويتبع مسارا معينا للقراءة ،هذا على مستوى متلق واحد فما بالك في اشتراك مجموعة من القراء في اختيار مسارات القراءة.

من جهة أخرى فإن جعل البدايات غير محددة في بعض النصوص الرقمية، وهو أمر خاضع عن قصد أو غير قصد لمخطط المبدع الذي ينشئ النص على أساس متشعب لا تكون له بداية واحدة يجعل هذا التشعب ينتج اختلافا في اختيار البدايات من متلق لآخر، وينتج أيضا في المقابل اختلافا في سيرورة أحداث النص (خصوصا النصوص السردية)، من متلق لآخر أيضا، وبالتالي فقد يؤدي كذلك إلى اختلاف في النهايات أو النتائج من متلق إلى آخر.

وضمن علاقة المتلقي بالوسيط الجديد، فإن توظيف الحاسوب واستغلال الفضاء الشبكي في عملية إبداع النصوص، جعلت المتلقي يمارس بعض الوظائف والاختصاصات التي كانت في السابق حكرا على المؤلف دونا عن غيره، وفي المقابل أصبح هذا الأمر يتطلب من المتلقي – شأنه أيضا في ذلك شأن المؤلف– أن يلم بأبجديات الحاسوب ويتعلم تقنيات التعامل معه، وهي أمور أصبحت تفرضها طبيعة النص الرقمي الجديد، والذي لم يعد يتطلب فقط اكتساب مهارات في مجال الإعلام الآلي، بقدر ما أصبح يتطلب من المتلقي اكتساب مهارات قرائية خاصة تمكنه من التعامل مع الروابط التشعبية من خلال تنشيطها ضمن ما يمكن أن يصطلح عليه بعملية القراءة الرقمية.

2. المتلقي الرقمي من الفاعلية إلى التفاعلية

إن التحول الذي طرأ على المتلقي، سواء ما تعلق بوظيفته أو حتى ما تعلق بمركزيته ضمن منظومة أقطاب العملية الإبداعية وعلاقته بمختلف هذه الأقطاب، يحيلنا إلى مصطلح التفاعلية interactivité بوصفه أكثر المصطلحات شيوعا وارتباطا بالأدب الرقمي، وأكثر خواص هذا الأدب ارتباطا بمنتجه أو متلقيه على السواء، إذ لا يمكن الحديث عن التفاعلية دون حضور هذين الفاعلين، والحقيقة أن مصطلح التفاعلية يتجاوز حدود الأدب والفنون ليشمل مختلف مناحي الحياة البشرية،" فالإنسان المعاصر هو بصورة رئيسية كائن في نشاط تفاعلي، يتحكم باستمرار بواجهات رقمية، في البيت، وفي العمل وفي وسائل المواصلات، وفي الشارع، وحتى في الأمور الحميمية"(فيال، 2018، صفحة 249)، الأمر الذي جعل هذا المصطلح ينفتح على عديد التعريفات، وذلك باختلاف الباحثين واختلاف مجالات بحثهم، ففي مجال الإعلام يعرفها روجرزRogers بأنها فعل يحيل إلى المشاركين في العملية الاتصالية ومدى قدرتهم على تبادل الأدوار والسيطرة والتحكم في خطابهم المشترك.(نحاس، 2017)

أما جان لوي ويسبرغ jean luise wisbeurg الباحث في مجال الأدب الرقمي فإنه يعرف التفاعلية بأنها خاصية للعمل تدخل ضمن عمل البرنامج وتتمثل في قدرة هذا البرنامج على إحداث نشاط مادي لدى القارئ ومن ثم قدرة القارئ على التجاوب مع هذا النشاط، في حين يوسع جان لوي بورانييه jean luise Bouranier مفهوم التفاعلية ليجعلها تشمل خاصية مختلف مكونات العمل المتمثلة في تحركها وتواصلها فيما بينها.(وآخرون ف.، 2016، صفحة 30)

من جهة أخرى يعرفها فيليب بوتز philippe Bootz الباحث أيضا في مجال الأدب الرقمي " أنها خاصية للعلاقة التي تقوم بين القارئ والبرنامج ، أنها قدرة تُمنح للقارئ وإكراه يلزم البرنامج وعمل يمنح القارئ قدرة التأثير في تركيب العلامات المقترحة للقراءة، ويفرض العمل نفسه على البرنامج أن يتجاوب مع مجموعة محددة من المعلومات التي يقدمها القارئ."(وآخرون ف.، 2016، صفحة 31)

فالتفاعل بهذا المنظور "يتمثل في العمليات التي يقوم بها المستعمل وهو ينتقل بين الروابط لتشكيل النص بالطريقة التي تفيده، وهو بذلك يتجاوز القراءة الخطية التي يقوم بها قارئ الكتاب المطبوع، ولقد ظهرت أعمال أدبية

(الرواية مثلا) أو فنية (الألعاب، أو الدراما) تقوم على الترابط بين مختلف مكوناتها وهي تنهض على أساس التفاعل أو القراءة التفاعلية "(يقطين، 2005، صفحة 259) فالنص الرقمي يستمد تفاعليته كونه يمنح متلقيه إمكانية التصرف فيه واستخدامه لأغراض غير تلك التي حددها له منتجه، مثلا يمكن للمتلقي تقطيع النص وإعادة تركيبه من جديد، وهذه الإمكانية لم تكن متاحة للقارئ الذي يتعامل مع النص في البيئة الورقية ، إذ لا يمكنه التصرف فيه واستعماله إلا من خلال إعادة تحويله إلى نص رقمي.

من جهة أخرى فإن نظرة فاحصة لمختلف الوسائط الثقافية، يتضح أن الإنترنت هو أكثر هذه الوسائط خدمة للمتلقي وتأثيرا فيه في الوقت ذاته، مقارنة ببقية الوسائط المتاحة، وأكثرها تحقيقا للتفاعل من غيره، فهو خلافا للتلفزيون والهاتف " يتيح لنا تفاعلا آنيا ولعبا لحظيا واختيارا للصور التي نراها، وللمعلومات التي نرغب في الحصول عليها، بل وتغييرها وتعديلها وإعادة إرسالها، إن التفاعل في العالم الافتراضي واقعي ويحصل في الزمن الواقعي أي في تمام الحضور" (معزوز، 2014، صفحة 277)، هذا التفاعل الذي تتيحه هذه الوسائط الجديدة وهامش الحرية الذي منحته للمتلقي والمؤلف على السواء، والذي أتاح لهما حرية اختيار المعلومات وتغييرها أو تعديلها وحتى حذفها، هو في الحقيقة ما يميز المرحلة الرقمية من تاريخ الإنسان ويجعل مختلف آفاق المعرفة والإبداع منفتحة عليها مقارنة بالمراحل التاريخية السابقة، وهذا ما يجعل في المقابل درجة التفاعلية في الأدب التفاعلي تزيد كثيرا عنها في الأدب التقليدي المقدم على الوسيط الورقي.

III. السيرورة القرائية وتمفصلات القراءة الرقمية:

لما كانت القراءة كما أشرنا سابقا هي الفعل الواصف لعملية التلقي، وهي المدار الذي تشتغل عليه العملية الإبداعية بكل أطرافها بما فيها النص في شكله الرقمي الجديد، فقد أصبح لزاما على النقد إعادة بلورة مفهوم التلقي بما يستجيب لمتطلبات هذا التحول الرقمي الذي تمخض عنه هذا النص في شكله الجديد، وهو ما يعني أيضا أن طبيعة الوسيط الحامل لهذه المصاحبات النصية وطريقة عرضها، هما الخاصيتان اللتان أصبحتا تحددان الصيغة الملائمة لتلقي هذا النص الجديد والتعامل معه، فالنصوص المتشكلة في البيئة الرقمية لم تعد تتحدد شكلا أو مضمونا إلا بواسطة مجموعة من الوسائط التي ترافقها وتحيط بها، في صورة شبكة معقدة تشتغل خارج القوانين التي تميز بنية المعنى كما تفرزها النصوص المتشكلة ضمن البيئة الورقية، وعلى هذا الأساس أيضا فإن أبرز التحولات التي حدثت على مستوى عملية التلقي في المرحلة الرقمية كانت على مستوى القراءة وبناء الدلالة، ففي المرحلة الورقية أسهمت طبيعة النص الخطية بوصفه مجموعة من البنى المتتالية خطيا، في جعل مسار القراءة وكذا طريقة بناء الدلالة تتم بشكل خطي تصاعدي وبطريقة تراكمية فكل كلمة يتلقاها القارئ تضيف شيئا لرصيد المعنى، لتتنامى بفعلها دلالة النص وتتضح معالمه ويمكن تمثيل مسار بناء الدلالة وعملية التلقي في المرحلة الورقية بالشكل(1) كما يلي:

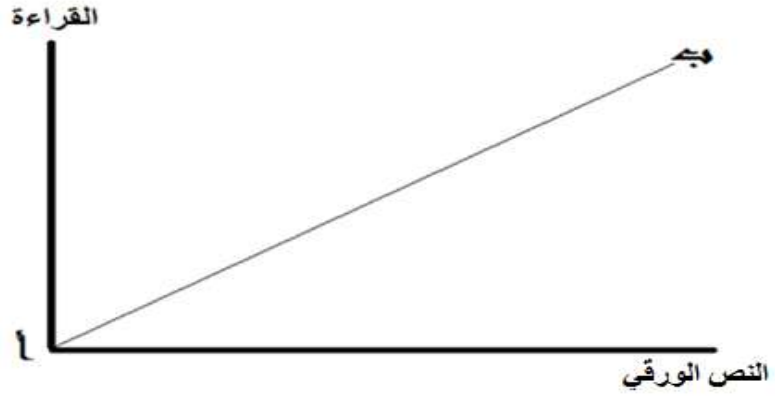

الشكل(1)

المخطط من وضع الباحث

في حين أنه في المرحلة الرقمية، ومع تحول القراءة إلى تلق ، وتحولها من المسار الخطي إلى المسارات التشعبية بفعل التحولات التي حدثت على النص، فإن هذا التحول أيضا انعكس على مسار بناء الدلالة، فالنص الأدبي لم يعد يتكون من بنى متتالية خطيا، يمكن قراءتها أيضا خطيا من البداية إلى النهاية، إنما أصبح النص مجموعة من النصوص المترابطة، كل نص منها يشكل مجموعة من البنى المستقلة بذاتها، وليس هناك ترتيب معين أو محدد للقراءة يفترض بالقارئ تتبعه لإنتاج الدلالة فمسارات القراءة تتعدد وتختلف في النص الرقمي من متلق إلى آخر بل من قراءة إلى أخرى، فإذا أخذنا على سبيل المثال نصا رقميا بنيته التركيبية كما في الشكل(2) :

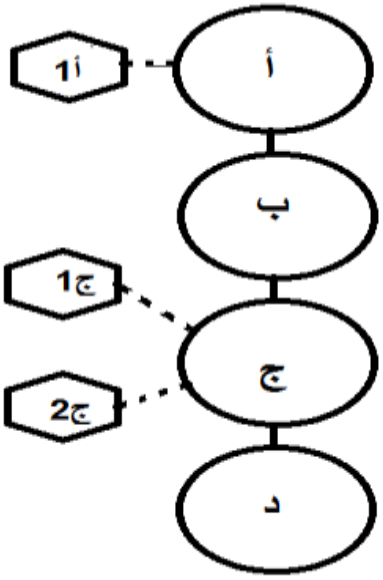

الشكل (2)

المخطط من وضع الباحث

فإنه يمكن تمثيل بعض مسارات بناء الدلالة الممكنة، وهي كثيرة ويمكن رصدها في كل مرة تبعا لاختيار القارئ لنقطة البداية وكذا النهاية، وكذا تبعا لمجموع الروابط التشعبية التي قام بتفعيلها أثناء القراءة، ولتوضيح السيرورة القرائية في البيئة الرقمية، قمنا بتمثيل مسارين فقط من هذه المسارات في الشكل(3) كما يلي:

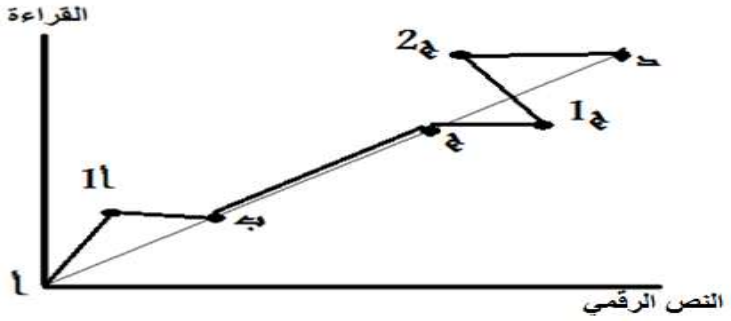

الشكل(3)

المخطط من وضع الباحث

من خلال مقارنة بسيطة بين الشكلين (1) و (3)، نلاحظ أن مسار القراءة والتلقي في النص الرقمي لا يمكن التنبؤ به، فهو يفتح خيارات عدة لاستجابة المتلقي تبعا للمسارات المتاحة للقارئ ليتتبعها أثناء القراءة، وهذه أبرز خصائص البنية التشعبية للنص الرقمي، فهي "تتيح إمكانية بلوغ نفس العقدة (أي المقطع) مرات عدة، ضمن المسارات المتعددة للقراءة الواحدة، ومع كل مسار تختلف الدلالة، على اعتبار أن دلالة النص غير متعلقة بالنص نفسه فحسب، بقدر تعلقها بالنصوص المقروءة سلفا" (شيباني، 2014، صفحة 75)، كما أن المقارنة بين الشكلين (1) و(3) تجعلنا نلاحظ مدى تعقيد مسار القراءة في النص الرقمي وصعوبة بناء الدلالة مقارنة بنظيره في النص الورقي.

والحقيقة أن هذا التعقيد من شأنه إرهاق القارئ، بسبب تضاعف الجهد المبذول من طرفه لبناء الدلالة والقبض على معنى النص، وفي هذه النقطة أيضا تلتقي نظرية التلقي مع الأدب الرقمي من منطلق ما يطرحه هذا الأخير من معنى للقراءة ، بأنها عملية مفتوحة على عديد القراءات التي تتسع باستمرار من خلال إعادة إنتاج النص في كل مرة تتم فيها القراءة بصورة جديدة ،تخضع لخيارات القارئ والمسار الذي يحدد نقطة بدايته وانتهائه في كل مرة، وكلما اختار مسارا للنص أو أعطى تأويلا لأحد بنياته التعبيرية وربطها بغيرها من البنى تكوّن لديه معنى مغايرا ومن هنا تصبح القراءة إعادة تركيب مستمر للتجربة القرائية ومساراتها.(كرنان، 2000، صفحة 163)

كما أن رؤى القارئ تختلف في كل مرة قياسا بالمسار الذي يحدده فيها ويختاره للقراءة، وهذا ما يفتح أفق النص سواء على مستوى قارئ واحد، أو على مستوى قراء متعددين، فكل قارئ تختلف طريقة تفاعله مع النص الإبداعي وفق رؤيته الخاصة وخلفيته المعرفية، وهو ما يسمح لكل متلق/مستخدم بأن يخرج "من النص برؤية تختلف عن تلك التي سيخرج بها غيره من المتلقين/المستخدمين ،وهذا ما يوسع أفق النص،بل يعدد أفقه ويفتح باب التأويل فيه على مصراعيه،بما يضمن له البقاء والاستمرارية." (البريكي، 2006، صفحة 52)

والملاحظ أنه على مستوى مسارات القراءة وتمفصلاتها ضمن إطارها العام (على صعيد التعامل مع اللغة أو على صعيد بناء الدلالة)، أن النص الرقمي لا يختلف في جوهره عن النص التقليدي الورقي، غير أن جوهر الاختلاف يقع أساسا على صعيد تحقق وظائف القراءة " فالتحول بالنص من الحيز الورقي إلى نطاق الآلة الإلكترونية، يضعنا أمام ضوابط عملية جديدة لتفاعلية القراءة عبر نظم التحكم النوعية في المعطيات النصية، التي تختلف عن النص الورقي كما وكيفا" (شيباني، 2014، صفحة 76)، وعلى هذا الصعيد، فإن الفقرات في النص الورقي تنتظم وفق نظام مقطعي تتابعي يفرض على القارئ ضرورة الخضوع لمبدأ المجاورة أثناء القراءة، بينما يمتاز النص الرقمي بقدرته على منح المتلقي حرية الاختيار، ويتيح له فرصة بلوغ مختلف المعطيات النصية، وهو ما يمنحه أيضا صورا جديدة ومختلفة للأداء القرائي "تضمن له سيرورة القراءة داخل النص عبر ضوابط تقنية (فتح أو إغلاق الصفحة، فتح النوافذ الاختزال الأيقوني، الاحتفاظ بأكثر من نص، التقدم والرجوع ...)، تمكنه من خيارات متعددة لتفعيل القراءة (الفهرس المتدحرج،الضغط والضغط المضاعف،المصعد القرائي...) وتقرير مصيرها (تفعيل الروابط النصية)"(شيباني، 2014، صفحة 76) هذه الصور الجديدة للأداء القرائي وإن بدت مختلفة عن نظيرتها في المرحلة الورقية،إلا أنها تبقى مرتبطة بالنظام الافتراضي لتمثلات الشاشة، ما يرهن تحققها على الصعيد المادي الملموس خلافا لما هي عليه في النص الورقي الذي يتيح للقارئ قلب الصفحة، طي الصفحة أو تعليمها، الاعتماد على نظام الترقيم وغيرها من تطبيقات وخصائص.

كما أن انتقال النص الأدبي من بيئة ورقية خطية ثابتة ومستقرة، إلى بيئة رقمية غير مستقرة، تحكمها حركة التغيّر ومنطق الحركة، مكّنت منتج النص ومؤلفه من التلاعب ببنية النص، من خلال الاستغلال الأمثل لكل الإمكانات والبرامج الحاسوبية، هذه الطاقات اللامحدودة التي تتيحها هذه الإمكانات والبرامج جعلت منتج النص أيضا يتجاوز التلاعب بالنص إلى التلاعب بالقارئ من خلال التلاعب بنشاط القراءة أيضا، فالبرامج التي صارت جزءا من تكوين النص الذي يتلقاه القارئ، والنص بمختلف مكوناته (اللغة، الصوت،الألعاب الرسوم، الحركة، الفيديو، الروابط ...) أصبحا معا أدوات هذا التلاعب، وأضحى النص واجهة قابلة للتغيير(من جهة صاحبه أو من جهته قارئه)، ولم منتجا نهائيا مكتملا بالنسبة لكل منهما.

من جهة أخرى نشاط القراءة أيضا أصبح عملية داخلية في العمل (تتعلق بنشاط النص والقارئ والمنتج) ولم تعد نشاطا خارجيا (يتعلق بالقارئ فقط)، لتتحول بذلك القراءة إلى أداء يحدث على مستويين مختلفين:

ـ المستوى الأول: وهو إما أن يكون القارئ/المتلقي على علم بشروط هذا التلاعب الذي يحدث من داخل النص، وذلك من خلال الملاحظة، وتتبع أي مؤشرات لم يتم الكشف عنها في النص تمكنه من تتبع رأس خيوط هذا التلاعب ، أو على الأقل تحيله إلى معناه، وفي هذا المستوى يمكن القول أن النص/المنتج قابل للعب ، وقابل للتجاوب مع القارئ/المتلقي ومختلف الأنشطة التي يمارسها أثناء تلقيه النص من خلال التدخل في بنية النص، أو التفاعل مع المؤلف/المنتج، أو حتى التفاعل مع الوسيط من خلال توظيفه لاستدعاء ما من شأنه أن يعينه على تحليل المؤشرات ومطاردة المعنى.

ـ المستوى الثاني: وهي أن يكون النص غير قابل للعب، على الرغم من أن النص يتضمن نفس المكونات التي أنشأت نشاط القراءة في المستوى الأول، ففي هذه الحالة من خلال ارتفاع مستوى التشتيت، يشتغل النص قدر الإمكان إما تلقائيا أو بتدخل من المنتج/ المؤلف على إبعاد القارئ/المتلقي عن أي مؤشرات قد تظهر له معالم النص، وهذا يتم على مستوى خط سير القراءة نفسها، أو على مستوى حركية بنى النص الصغرى والروابط التي تشكل بنيته الرئيسية الكبرى، أو حتى على مستوى تلقي القارئ نفسه للنص، باستهداف أفق توقعه وتشتيته.

الخاتمة:

في الأخير يمكن القول أن الخصائص الجديدة والتحولات نحو الكتابة الرقمية فرضت تغيير أفق التلقي، وبات فعل القراءة يشتغل على كيان نصي مختلف عن نظيره الورقي، وهو ما يحتم على المتلقي أيضا تجديد مفاهيمه وآلياته القرائية، من أجل قراءة ومقاربة هذه النصوص التي تكتسب صفتها من خلال توظيف أحدث التقنيات والإمكانات التي تتيحها لها التكنولوجيا، وهو أمر لا يمكن أن يتحقق ما لم يستثمر المتلقي أيضا التكنولوجيا، وينهل من معين كشوفات المعرفة الإنسانية المعاصرة.

كما أن الوعي بهذه التحولات التي طرأت على طبيعة الإنتاج الأدبي وظروف تلقيه من شأنه أن يفضي إلى اقتراح نماذج ومقولات تستطيع القبض على الأنساق الجمالية والقيم المعرفية لهذا الإنتاج وذلك في سياق شكل جديد من القراءة يأخذ على عاتقه مسؤولية التفكير في ضرورة اقتراح مجموعة من النماذج والمفاهيم، وكذا الآليات النقدية القادرة على تشخيص النص رقمي وتحليله أبعاده الجمالية والمعرفية وحتى الإيديولوجية، على اعتبار أن الجماليات التي يزخر بها ويقترحها على المتلقي تندرج ضمن خصوصيات البيئة الرقمية وكذا الخلفية الفكرية والثقافية التي يصدر عنها.

ومن جهة أخرى فإن التحدي الجديد الذي يقتضيه الأدب الرقمي، يتلخص في أن مسار القراءة والتلقي في النص الرقمي لا يمكن التنبؤ به، فهو يفتح خيارات عدة لاستجابة المتلقي تبعا للمسارات المتاحة للقارئ ليتتبعها أثناء القراءة، وهذه أبرز خصائص البنية التشعبية للنص الرقمي، والتي تجعل من فعل القراءة في البيئة الرقمية عملية مفتوحة تتجاوز نظيرتها في البيئة الورقية ، إذ تنفتح على عديد القراءات التي تتسع باستمرار من خلال إعادة إنتاج النص في كل مرة تتم فيها القراءة بصورة جديدة.

من هنا أيضا يمكن القول أن هذه التحولات غير المسبوقة تؤكد أن ثمة ثورة فكرية وجمالية من ملامحها أن مفاهيم كثيرة بدأت تتصدع مثل مفهوم المؤلف والنص والوسيط والقارئ والجنس الأدبي والنقد، وهي المفاهيم التي كان يعتقد أنها صلبة وثابتة، وعليها كانت تتأسس عملية تحليل النصوص وتفسير الخطابات.

ولا شك أيضا أن العبء على المتلقي ، خصوصا المشتغل على النصوص الرقمية سيكون كبيرا ومضنيا ولكنه ليس مستحيلا، فالشمولية في تلقي الأدب ضرورة فنية وثقافية تفرضها مجمل التحولات التي طرأت على الأدب بفعل دخوله إلى مرحلة جديدة (الرقمية)، كما أن تضافر الفنون وتداخلها في النص الأدبي الجديد(الرقمي) ينبغي أن تكون ضمن أهداف وغاية نظرية الأدب، وعلى المتلقي أن يدرك هذه الغاية وخصوصيتها، و بالتالي يعد

لها كل ما من شأنه أن يسهم في بلورة مفهوم جديد للتلقي الأدبي، يتجاوز به المفهوم التقليدي الذي يبقي أطراف العملية الإبداعية الأدبية أسيرة أسوار اللغة.

قائمة المراجع:

- ألفين كرنان،موت الأدب.ت: بدر الدين الديب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،2000م
- بابيس ديرميتزاكيس، النص التشعبي: ما وراء حدود النص، ضمن كتاب: عز الدين اسماعيل، النقد الأدبي على مشارف القرن: العولمة والنظرية الأدبية،المؤتمر الدولي الثاني للنقد الأدبي، مطابع المنار الجيزة،مصر،2003
- حسام الخطيب، الأدب والتكنلوجيا وجسر النص المفرع hypertext، المكتب العربي لتنسيق الترجمة والنشر، دمشق، سورية، 1996م.
- ستيفان فيال، الكينونة والشاشة: كيف يغير الرقمي الإدراك، ت:إدريس كثير،مر: بدر الدين عرودكي هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامه، 2018م، ط1.
- سعد البازغي وميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت،2002م، ط3
- سعيد يقطين، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية: نحو كتابة عربية رقمية، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،بيروت،2008م،ط1
- سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2005م، ط1.
- سهير نحاس، التفاعلية وما بعد التفاعلية في الإعلام الحديث، مجلة ثقافات الإلكترونية، تاريخ النشر:25 أغسطس2017م، أطلع عليه يوم2021/09/12م، التوقيت:22:00 على الموقع:
http://thaqafat.com/2017/08/84314
- عبد العالي معزوز، فلسفة الصورة: الصورة بين الفن والتواصل، إفريقيا الشرق للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2014م، ط1.
- عبد القادر فهيم شيباني، سيميائيات المحكي المترابط، سرديات الهندسة الترابطية: نحو نظرية للرواية الرقمية عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2014م، ط1.
- فاطمة البريكي،مدخل إلى الأدب التفاعلي،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2006م، ط1.
- فيليب بوتز، كلود بيرسزتيجن وآخرون. (2016). الأدب الرقمي. المغرب: الدار المغربية للنشر والتوزيع.

- مازن عرفة، سحر الكتب وفتنة الصورة من الثقافة النصية إلى سلطة اللامرئي، التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سورية، 2007م، ط1